Journal Of the Iraqia University (74-1) August (13-8-2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

النظرية التوفيقية في شعر المتنبي

أ.م.د.وسن منصور محمود

كلية الاداب /جامعة بغداد/ قسم اللغة العربية

The theory of reconciliation in Al- Mutanabbi's poetry

Assist. Prof. Dr.. Wasan Mansour Mahmoud
University of Baghdad/ College of Arts
Department of Arabic Language
wasanmansor@coart.uobaghdad.edu.iq

الملخص

النظرية التوفيقية في شعر المتنبي هي موضوع يهتم بدراسة كيفية توفيق المتنبي بين افكاره ومشاعره المختلفة في شعره، فالمتنبي ياتي في احيانا كثيرة بالتعقيد المستكره وباللفظ المتكلف ومع ذلك لاينفي من ان شعره ولايحذفه ، يعرفه الجميع بقدرته على اظهار المشاعر الانسانية المختلفة، من شجاعة وخوف، وتضخم بالذات وعنفوانه ، وحكمة ،وفي هذه الدراسة سنحاول اسكتشاف قدرته على التوفيق بين احاسيسه وافكاره ومشاعره المختلفة في شعره وسنعى جاهدين لتطبيق النظرية التوفيقية في شعره من تتبع بدقة في ابياته الشعرية وتحليل هذه الابيات على وفق المنظورالنفسي والادبي، وسنحاول الكشف عن كيفية اظهار المتنبي في ابيات شعرية شموخه وعظمته التي يفخر بها فضلا عن ثقته بنفسه وفي نفس الوقت يظهر قلة حيلته وحنينه وكيف استطاع ان يبرز شجاعته وقوته وفي ذات الوقت يكشف خوفه وتردده، وفي بحثنا هذا سنحاول الولوج الى نفسه القلقه التي تحمل تعقيدات الشخصية الشعرية له والافصاح عن وقدرته على التعبيربشكل واضح في قصائده.

الكلمات المتاحية، النظرية ، التوفيقية ، في شعر ، المتنبي

Abstract

The theory of reconciliation in Al-Mutanabbi's poetry is a subject that focuses on studying how Al-Mutanabbi reconciles his different ideas and feelings in his poetry. Al-Mutanabbi often uses complex and elaborate language, yet he does not deny or delete his poetry. He is known for his ability to express different human emotions, such as courage, fear, self-aggrandizement, violence, and wisdom. In this study, we will attempt to explore his ability to reconcile his different feelings, thoughts, and emotions in his poetry. We will strive to apply the reconciliation theory to his poetry by carefully tracing his poetic verses and analyzing them from a psychological and literary perspective. We will try to reveal how Al-Mutanabbi shows his pride in his poetic verses, as well as his self-confidence, while at the same time revealing his helplessness and longing, and how he was able to highlight his courage and strength while revealing his fear and hesitation. In our research, we will try to delve into his anxious self, which carries the complexities of his poetic personality, and reveal his ability to express himself clearly in his poems.**keywords, theory, reconciliation, in poetry, Al-Mutanabbi**

المقدمة:

هو ابو الطيب احمد بن الحسين الكوفي، يقول بعض مؤرخي الادب ان بعض شعر المتنبي قد يدل على عصبية يمانية فاكثر ممدوحيه في ايامه الاولى من قبائل يمانية، انماز شعره باسلوبه البلاغي وبثراء فلسفي فضلا عن اسلوبه الراقي، مماجعل النقاد يطيلون الوقوف امامه طويلا ولاسيما عند خصائصه الاسلوبية والبلاغية فضلا عن امتلاكه فصاحه فكرية وثقاية.وتعد النظرية التوفيقية من النظريات البلاغية التي يمكن ان تطبيقها على شعر المتنبي، فهي استطاع المتنبي ان يوافق بين الاضداد ولاسيما بين الحكمة والبطولة ،والحنين والبغض، وبين الشموخ والخذلان ، وتهدف هذه النظرية التوفيقة الى تحليل نصوصه الشعرية واظهار ذلك التضاد للعيان.فهذا البحث يسعى الى تحليل شعر المتنبي من رؤية النظرية التوفيقية

بكونها بنية فكرية ، فهي تعكس التوظيف الاشاري في لغة المتنبي، كمانهدف بسعينا في هذا البحث الى تتبع النظرية في تشكيل القصائد التي كتبها من جهة وصورتها في المتلقي الواعي العربي، فهذه النظرية تسعى تفصح عن كيفية توظيف الشاعرللتقنيات البلاغية في تشكيل وهيكلية قصائده .النظرية التوفيقة في شعر المتنبي هي موضوع تعطي اهمية لدراسة تعقيدات الشخصية الشعرية وعمقها وتساعد المتلقي على فهم كيفية توفيق الشاعر بين الافكار والمشاعر المختلفة في شعره .ان دراسة النظرية التوفيقية في شعر المتنبي تغني فهمنا العربي وتبين له قدرة المتنبي على الاقصاح والكشف عن المشاعر الانسانية المختلفة كما ، انها تظهر اهمية دراسة الشعر العربي في فهم ووعي الثقافة العربية والتعرف على ماتحمله الشخصية الانسانية ولاسيما العربية من تعقيدات.

التعريف بالنظرية التوفيقية:لابد لنا من القول ان النظرية التوفيقية هي محاولة عقلية وادبية للجمع بين مفاهيم او قوى متضاده في سياق واحد فلا يلغى احدها الاخر، وقد برزت وتبلورة هذه الرؤية في سياق فكرية متعددة منها الفلسفة الاسلامية ، وعلم الكلام والمنطق، والبلاغة في الشعر، كما انها منهج ادبي يراعي بدراسة كيفية توفيق الشاعر بين الافكار والمشاعر المختلفة في شعره ، كما تسعى هذه النظريةالى التوفيق بين النظريات البلاغية المختلفة لتحليل النصوص الادبية .

تعريف النظرية التوفيقية عند العلماء العرب القدامى:

النظرية التوفيقية في اللغة العربية لها جذور موغلة في القدم اذ يمكن تتبع جذورها فنجدها تعود الى اقدم العصور، فهناك في اللغة العربية علماء عدة قدامى قد اسهموا في تطوير هذه النظرية وهذا مانجده في نتاجهم في علم البلاغة وعلم الدلالالة فمنهم سيبويه اذ يعد واحدا من اشهر علماء اللغة العربية في العصر العباسي وله مؤلفه الشهير الكتاب يبحث فيه قضايا لغوية متعددة بما في ذلك دلالة الالفاظ واستخداماتها في السياقات المختلفة يمكن ملاحظة ومشاهدة بعض عناصر النظرية التوفيقية في تحليلاته للغة العربية (سيبويه ، ١٣١٧هـ: ١٢/١)وقد بحثنا كثيرا لم نجدعلماء البلاغة القدامى تحدثوا عن النظرية التوفيقية بشكل صريح في مؤلفاتهم، ومع ذلك هناك علماء بلاغة تحدثوا عن مفاهيم بلاغية متعلقة بالتوازن والتناسب بين الافكار والمشاعر في النصوص الادبية قد تكون لها بشكل او باخر صلة بالموضوع ، وهؤلاء العلماء تحدثوا عن مفاهيم قريبة من هذه النظرية ، مثل التوفيق بين الاضداد والتوازن بين المشاعر والافكار ، ويبدو ان هذا المصطلح الحديث لم يكن مستخدما في العصور السابقة ولم اجد اي مرجع او مصدر يشير الى ان النظرية التوفيقية بشكل صريح ومن هؤلاء العلماء.

الجاحظ:في كتابه البيان والتبيين نجده قد بحث في امورلها علاقة بالبلاغة والفصاحة ، مما يمكن عدها كجزء من النظرية التوفيقية في التواصل واللغة (الجاحظ ، ١٩٦٠: ٢٥/٢).

ابن جني:في كتابه الخصائص يدرس قضايا لغوية لها صلة بالدلالة والتركيب اللغوي مما يعكس جزء من الافكار التي يمكن ان نربطها بالنظرية (ابن جني ،١٩٦٠: ٣٠/١).

عبد القاهر الجرجاني :في كتابه دلائل الاعجاز فهذا الكتاب يعد من اهم المراجع في علم البلاغة فيه مفاهيم تتقارب من النظرية الا انه لم يطلق عليها مصطلح النظرية التوفيقية فهو يتحدث عن مفاهيم بلاغية مثل النظم والتركيب والتناسب بين الافكار (الجرجاني،١٩٨٧: ١٢٣) وكذلك كتابه (الجرجاني ، ١٩٨٣: ١١٢) في هذا الكتاب يتحدث عن مفاهيم بلاغية اكثر قربا من النظرية مثل المعنى واللفظ والتناسب بين الافكار والمشاعر فهو كان قريبا من النظرية التوفيقية

الخطيب القزويني:في كتابه (القزويني ، ١٩٨٥ : ٤٥) يتحدث فيه عن مفاهيم بلاغية مثل المعنى واللفظ والتناسب بين الافكار والمشاعر ، فهو يلامس النظرية التوفيقية الا انه لم يذكر المصطلح بشكل صريح

ابن الاثير في كتابه (ابن الاثير ،١٩٨٣: ٢١٠) يتحدث فيه ابن الاثير عن مفاهيم بلاغية مثل الفصاحة والبلاغة والتناسب بين الافكار والمشاعر ، فهو يقترب كثيرا من مفهوم النظرية الا انه لم يصرح بمصطلح النظرية التوفيقية.

السكاكي :اشار في كتابه (السكاكي،١٩٩٠: ٣٠) الذي قال فيه:البلاغة هي علم يعرف به كيفية التعبير عن المعاني ، ويكون بيانه على قدر ما في نفسه.ان هذه الكتب والمصادر قد لا تتحدث عن النظرية التوفيقية بشكل صريح ولكنها قد تحتوي على مفاهيم وافكار ذات صلة بالتوازن والتناسب بين الافكار والمشاعر في النصوص الادبية.ان هذه الاعمال القديمة ساهمت كثيرا في نمو الفكر اللغوي والبلاغي العربي مما سلط الضوء على النظريات اللغوية والبلاغية الحديثة بما في ذلك النظرية البلاغية النظرية التوفيقية ان النظرية التوفيقية في اللغة العربية هي موضوع مهم ويدعوا الى السعي الحثيث لمعرفته، وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في ارائهم حولها

اراءالعلماء القدماء في النظرية :لقد قسم العلماء المعنى على نوعيين : لفظية وغير لفظية وهو نوع منهما ينقسم على ثلاثة انواع: انواع عقلية ، وطبيعية ووضعية.

النظرية الاشارية : تعد هذه النظرية ان كل لفظ وكلام في اللغة له معنى فقط اذا كان لها مرجع في العالم الخارجي ، وان العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اعتباطية ابن جني يعرف الحقيقة بانها اللفظ المستخدم في موضعه الاصلي، بينما الشوكاني يعرف الحقيقة بانها اللفظ المستعمل فيما وضع له (محمد، د.ت :١٢)

التعريف بالنظرية التوفيقيةعند المحدثين:يعرف عبد العزيزعتيق النظرية التوفيقية بقوله : هي نظرية تهدف الى التوفيق بين النظريات اللغوية والبلاغية المختلفة لتحليل النصوص اللغوية والبلاغية (عتيق ،د.ت : ١٥) ، ويرى عتيق ان النظرية تساعد في تحليل التراكيب اللغوية والبلاغية وتوفر نظرة شاملة حول كيفية استخدام اللغة في التواصل (عتيق ،د.ت : ٢٠)وقد بحث محمد احمد الدالي في هذه النظرية اذ يقول فيها كيفية تحليل النصوص اللغوية والبلاغية وكيفية فهم المعاني والدلالات المختلفة وكيفية تحليل التراكيب اللغوية والبلاغية (الدالي ، د.ت:٢٥) ، وكما يرى الدكتور ان تطبيقات النظرية التوفيقية واسعة النطاق اذ يمكن استخدامها في تحليل النصوص اللغوية والبلاغية في مختلف المجالات ،(الدالي، د.ت:٤٠)كما اشار محمد الدالي في كتابه (البلاغة العربية نظرية التوفيق بين النظريات اللغوية والبلاغية ، ص٣٠) الى : ان هذه النظرية تبحث فهم المعاني والدلالات المختلفة وكيفية تحليل التراكيب اللغوية والبلاغية فضلا عن ان هذه النظرية تعد استراتجية فكرية في العديد من الممارسات الثقافية الاسلامية كالتوفيق بين الجبر والاختيار او الزهد والحياة العامة ،وقد تسللت هذه النزعة الى الشعر بوصفه مراة للحياة النفسية والفكرية (الجرجاني ، ١٩٨٧: ٤٢)وتعد النظرية التوفيقية مهمة في تحليل النصوص اللغوية والبلاغية اذ تساعد في فهم المعاني والدلالات المختلفة فالنظرية التوفيقية هي محاولة عقلية ادبية للجمع بين مفاهيم او قوى متعارضة في سياق واحد من غير ان يلغى احدهم الاخر ، لقد افاد الفكر العربي الاسلامي من فكر افلاطون كثيرا، ثم بالفكر المعتزلي الذي ظهر على يد الفارابي وابن سينا ، فيذكر لنا عبد الله العروي في كتابه مفهوم العقل ان هذه الخلفية ظهرت محاولات للتوفيق بين النقل والعقل وبين الفلسفة والدين وهو ما انعكس بدوره على شعر المتنبي الذي كان قارنا للفكر العقلاني والكلامي (العروي، ١٩٩٥: ٢)

اراء العلماء المحدثين في النظرية التوفيقية:لقد صنف علماء البلاغة الجدد المعنى الى اصناف عدة وقد حاولنا جاهدين تتبع هذه التصنيفات بحذر وهي كالاتي

- المعنى المركزي : هو المعنى جوهر للكلمة في النص
- المعنى التلميحي هو ذلك المعنى الذي يتعلق بكلمات التي لها مقدرة خاصة على التلميح
- المعنى النفسي وهو المعنى الذي يعنى بالافراد ويكون له الدوره الواضح في استخدام الادباء لدلالات متفرده بهم فضلا عن الشعراء واستعمالهم للدلالات المتفردة

اراء العلماء البلاغيين المحدثين بالنظرية يرى الدكتور شوقي ضيف : ان النظرية التوفيقية تهدف الى التوفيق بين النظريات البلاغية المختلفة لتحليل النصوص الادبية ، ويؤكد على اهمية هذه النظرية في فهم كيفية استخدام اللغة في التواصل (ضيف ،د.ت :٣٠)اما الدكتور محمد احمد الدالي؛ يرى ان النظرية التوفيقية هي نظرية مهمة في تحليل النصوص الادبية وتساعد في فهم كيفية استخدام اللغة في التواصل الادبي (الدالي، د.ت:٢٥)ولعبد العزيز عتيق راي في النظرية :اذ يعد النظرية التوفيقية هي نظرية تهدف الى التوفيق بين النظريات البلاغية المختلفة لتحليل النصوص الادبية ويؤكد على اهمية النظرية في فهم كيفية استخدام اللغة في التواصل الادبي (عتيق ،د.ت : ١٥)وبناء على هذا يمكننا القول ان جميع الاراء جاءت متفقة على ان النظرية التوفيقية جاءت لتوافق بين النظريات البلاغية المختلفة ، كما انها تهدف الى التوفيق بين النظريات اللغوية والبلاغية المختلفة ، فهي تبحث في تحليل النصوص اللغوية والبلاغية بشكل فعال ، كما انها تدرس هذه النظرية فهم المعاني والدلالات المختلفة وكيفية تحليل التراكيب اللغوية والبلاغية .

تطبيق النظرية التوفيقية واهميتها في شعر المتنبي :تطبيق النظرية على شعر المتنبي يمكن ان يفصح لنا عن جوانب جديدة في اسلوبه الشعري، مثلا في كيفية تبنيه لعلم البيان بما يحمل بين طياته ، كما تساعدنا على فهم كيفية عمل هيكلية المتنبي لقصائده المختلفة التي تباينت بين الحكمة الرثاء والغزل والفخر، وكيف استطاع ونجح في تحقيق الاثر البلاغي في اسماع ونفس المتلقي ، وكما نعلم ان هذه النظرية واسعة النطاق اذ ان استخدامها في تحليل النصوص اللغوية والبلاغية في مختلف المجالات تظهر النظرية التوفيقية في شعر المتنبي تعقيدات الشخصية الشعرية وعمقها ، كما اسعفتنا على فهم كيفية مساندة وتعضيد المتنبي بين الافكار والمشاعر المختلفة في شعره ، فالنظرية التوفيقية تظهر لنا قدرة المتنبي على

التعبيير عن المشاعر المختلفة التي كانت تنتابه بين الفينة والفينه، ومنها نستطيع الولوج الى التحليل النفسي الذي يمكن منه تحليل النظرية التوفيقية في شعر المتنبي من منظور نفسي اذ يظهر المتنبي تعقيدات التي تنتاب الشخصية الانسانية او تتاثر ببعض المواقف فتكون ردات افعاله مختلفة من شخص لاخر ان تعرضوا لموقف واحد او شخصية المتنبي ذاتها حين تتعرض لموقف معين ، فضلا عن ان هذه النظرية التوفيقية تستطيع تحليل شعر المتنبي من منظور ادبي يقصح فيه قدرة المتنبي على التعبير عن مشاعره الانسانية المختلفته .

التطبيق للنظرية بين الاضداد في شعر المتنبي: وسنحاول عرض بعض النصوص الشعرية التي جاء بها المتنبي ، فقد وافق المتنبي بين الضدين العقل والعاطفة مثال ذلك ما جاء في قصيدته على قدر اهل العزم ، ذلك البيت الذي يحمل الاضداد قال فيه (المتنبي ،١٩٨٣ :٢٣٢)

تمضي الليالي والليالي كما ترى ويذهب نفس ولم يزل مترددا

عندما نحلل هذا البيت على وفق النظرية التوفيقية، تظهر بلاغة المتنبي عالية عندما استعمل الاسلوب البلاغي الاستعارة اذ استطاع ان يشبه الليلي والايام بالشيء الذي يجري ولا يتوقف ، فقد تمكن من هذا التصوير بقدرته الفائقة وما يمتلكه من قدرة على توصيل الصورة فضلا عما يمتلكه من خيال ادبي استطاع ان ياتي بهكذا صورة ، فهو يعترف بهذا البيت بان التحديات التي تواجه الاتسان في حياته بان هناك حدودا ولكنه يستطيع ان يكسر تلك القيود ويتحرر من الاذى الذي يقع عليه اذ يوضح هذه الصورة بقوله ،(ويذهب نفس لم يزل مترددا) ، اما التوفيق بين المعاني فقد في هذا البيت توفيقا بين معنيين متضادين مختلفين الا انه وافق بينهما هو مرور الزمن بلا توقف ، والتردد الذي يعاني منه وهنا نجد المتنبي قد ادرك ان هناك مواقف مختلفة تتطلب منا ان نتعامل معها تعاملا مختلفا.واذا استطعنا ان نحلل هذا البيت تحليلا نفسيا، فالبيت فهي حالة كبيرة من الترددالذي يعانيه المتنبي اولا ومن ثم الاخرون اذ يبن فيه ان التردد يقف عائقا من تحقيق الاهداف والاحلام ،فضلا عما يشعر به المتنبي في هذا البيت من القلق الذي يساوره ويعاني منه في حياته وهذا واضحا بقوله: (تمضي الليالي والليالي كما ترى) وهذا دليل واضح على قلق المتنبي وربما يكون لاسباب عدة منها ان الوقت دون ان يتوقف وهو مازال واقفا دون حراك مع الزمن الذي يجري مسرعا .فنحن نرى ان المتنبي قد استطاع يوظف النظرية التوفيقية توظيفا دقيقا في هذا البيت .وهنا توظيف اخر للنظرية في شعر المتنبي (المتنبي ،١٩٨٣ :٢٦٦) قال فيه

وتكثر قوم وتقليلهم وتقريبهم بيننا والخبب

يقول المتنبي تكثيرهم معائبنا وتقليلهم مناقبنا، والتقرب ضرب من العدوي بسرعة الفرس، فالمتنبي كان قلقا من ان تكثر عن الممدوح مثالبه وعايبه وتقل عنده محاسنه ومناقبه ، وهنا يسعى العدو فساد الامر بينه وبين الممدوح وهو سيف الدولة وقال برثي اخت سيف الدولة ، وقد توفيت، فقد كتب المتنبي بهذه مرثية، (المتنبي،١٩٨٣ :٢١٥)

يا احسن الصبر زر أولى القلوب بها وقل لصاحبه يا انفع السحب

اولى القلوب هو قلب اخيها ،سيف الدولة ، فيقول بااحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذي هو اولى القلوب بمودتها والجزع عليها ،وقل لصاحب هذا القلب يا انفع السحب اي ان اعطاه اهنا لانه بغير اذى ان اعطاه ، والسحاب قد يوذب سيله وتهلك صواعقه ، هو في البداية جعل تقارب وتشابه بين الصبر والسحاب ثم بعد ذللك فضل الصبر على السحاب ، كلاهما معطاء الا ان فضل الصبر على السحاب هنا عطاء دون اذى ، والسحاب في الاغلب بعطاء فيه اذى ، قد اجاد المتنبي في اعطاء هذه الصورة التي لاتلمح بسهولة ، فكان هذا البيت تطبيقا للنظرية التوفيقية ومن مظاهر التوظيف للنظرية في شعر المتنبي اذ جاء بالتوفيق بين القوة والانكسار ،فقد جاء في بيت قائلا وهو يصور هذه القوة والضعف من قصيدة بعنوان غريب صالح في ثمود (المتنبي ،١٩٨٣ :٢٢)

انا ترب الندى ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود

يتحدث بكل فخر واعتزاز بنفسه بقولهى(انا ترب الندى ورب القوافي) لكنه لاينفي وجود العدو والحاسد الذي ينغص عليه عيشه ويبعد عنه رغد العيش، بهذا التضاد الذي ابدعه وخلقه المتنبي في هذا البيت ، قد حقق توازنا توفيقيا بين تلك العزة بالنفس والفخر بها، وبين القوة والتهديد الذي يقاسيه بسبب وجود الحاسد والعدو وقوله في بيت اخر يرسم لنا فيه الضعف والقوة في حالة تضاد واضحة (المتنبي ،١٩٨٣ :٣٣١) في قصيدته الخيل والليل والبيداء

وا حر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

فمن الواضح ان المتنبي يبث لنا حزنه والمه من ذاك الشخص الذي احبه كثيرا فهو يشعر بحرارة الحزن والالم الذي يعصرقلبه فهو يسغيث منه وجعا (وا حر قلباه) بينما الاخر ينعم ببرودة قلبه (قلبه شبم) ، في حين لم الذي الم به يشعر الاخر بالمرض في جسده وحاله فقد امسى سقيما متعبا، فهذا التباين بين المتضادين بين مشاعر المتنبي ومشاعر الاخر، فهو تعبير عن ضعف وانكسار المتنبي ، وقوة الاخر ، فهو تعبير عن

الضعف بصورة اخرى يمكن نسميه الضعف العاطفي والانكسار العاطفي وقوة وصلابة الاخر ، هو موقف لايحسد الشاعر عليه الا انه استطاع وجاء في قصيدة اخرى بالقوة والانكسار في قصية بعنوان لكل امرئ ماتعودا (المتنبي ،١٩٨٣ :٣٧٢)

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا

حسب النظرية التوفيقية التي نطبقها على شعر المتنبي، في بيته هذا جمع الشيء وضده بين الكرم واللؤم ،يقول ان الكرم الذي تمنحه للاخرين ولاسيما اكرام الكريم بهذا انت ملكته (اكرمت الكريم ملكته)، وهذا يوصلنا الى ان المتنبي يعلم بنفس من يتعامل معه وهو على فهم لطبيعة الانسان وبهذا استطاع عن يفصح عنها ببيته ،فهو من مواطن القوة التي يمتلكها المتنبي، وفي الوقت نفسه يبين ان اللئيم يتمرد اذا اكرمته (ان اكرمت اللئيم تمردا)، فقد كان مدركا لحدود ما يمكن تحقيقه من الاكرام مع الاشخاص الذين يستحقون فهو سجية بهم، اما الذين لايستحقون فهم صورة من صور الخبث والنفس المريضة، فقد كان هذا اعترافا واضحا من المتنبي بان اللئيم لا يرد ذاك الكرم الا بالخبث والاذية، المتنبي في هذه الابيات وفق كل التوفيق التوفيق في تطويع ابياته الشعرية لتكون تحت مظلة النظرية التوفيقية .التتبع بدقة في ديوان المتنبي يجد ان النظرية التوفيقية حاضرة بقوة في شعره ، قال يرثي محمد بن اسحاق التنوخي قائلا (المتنبي ،١٩٨٣ :٢٣١)

امجاور الديماس رهن قراره فيها الضياء بوجهه والنور

جعل المتنبي الميت رهن ذلك السجن والحفرة المظلمة مكان اقامته الى يوم الدين ، فقد صور لنا تلك الصورة التي تدعوا الى الخوف والقلق من تلك الاقامة التي يجبر عليها الانسان فهو مجبر على الاقامة فيها ليس مخير ، ثم يقول ان القبر المظلم اشرق بنور وجهه ، فالتضاد كان جليا امامنا بقوله الظلمة والنور والضياء ، وهذا التضاد صورة وتطبيقا للنظرية التوفيقية وهذا بيت اخر طوع فيه المتنبي التضاد ليرسم لنا بيت من بيوته الجميلة رسم بكلماته قائلا في قصيدة له بعنوان الخيل والليل والبيداء (المتنبي ،١٩٨٣ :٣٣٤)

ولولا يد مني اليك لمبصرة من الضرب تضرب عن ضربها العلى

يفصح الشاعر وكما هو واضح في البيت عن قوته وقدرته في الدفاع عن نفسه اذا ما داهمه الخطر من العدو فهو يشير الى قوته بتلك اليد القادرة على صد العدو والدفاع عن نفسه ويعود ويذكر ضعفه بصورة غير واضحة للاخر الى انه قد يتعرض للضعف والانكسار عندما لايستطيع الدفاع عن نفسه ، كان في البيت تضادا لايكاد يلمح الا بعد تفسير عميق والولوج الى فهم مقصد المتنبي الذي غالبا ما يكون غامضا للاخرين ، استطاع ان يثبت النظرية التوفيقية في بيته هذا وان كاد لايلمح الاخرون هذا التضاد ، كما يمكن ان نعدها مفارقة توفيقية ذلك الضف وتلك القوة وفي بيت اخر نجد المتنبي يكتب لنا بيتا كانموذج الحكمة والبطولة والشجاعة بيت يتحدث فيه عن مكانة العقل عنده فهي فلسفة المتنبي التي تتبنى اهمية العقل والحكمة فلسفة يتبين فيها جمالية الحكمة وبراعة التعبيير، بيت في قصيدة على قدر اهل العزم (المتنبي ،١٩٨٣ :٢٥٥)

الراي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني

فقد اظهر لنا المتنبي قدرته على التوافق بين الراي والعقل الذي يحكم الانسان ، وبين البطولة والشجاعة ، في بنية متماسكة قوية تزواج بين العقل والعمل، في ظل النظرية التوفيقة استطاع المتنبي ان يخرج لنا هذا البيت المبني على تضاد بين البطولة والعقل كتب بيت كانموذج للخذلان والامل (المتنبي ،١٩٨٣ :٣٧٢) قال قيها

وما قتل الاحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر ان يحفظ اليدا

يقصد المتنبي بالحر هو الكريم وهو صفة تضاد اللئيم بمعنى ومن لك بالحر اي من تكفل لك به اما اليد فيقصد بها النعم فالمتنبي في حالة حيرة وتسال من الذي اذا عفوة عنه ومددت له يدك ذكر صنيعك له ، فقد جعل بيته يعج بالتضاد ، فقد كان انموذجا متناقضا توفيقيا بين العفو الكرم وما يقابله من القتل القوة ليفصح لنا عن عمق الصراع الازلي بين بين الكرم واللئم، صراع الانسانية ، وهاهو كعادته استطاع ان يجعل ابياته تحت لواء النظرية التوفيقية وكما نعلم جميعا ان للمتنبي قصائد يمدح فيها سيف الدولة والذي تظهر فيها انا المتنبي وهو يشيد بالاخر ويعظمه ، وذلك في بيت له في قصيدة الخيل والليل والبيداء تعرفني (المتنبي ،١٩٨٣ : ٣٣٢) يقول في هذا البيت

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم

لابد لنا من القول ان الكبرياء في هذا البيت كانت واضحة كما ينم عن ثقة كبيرة بالنفس ثم يردف هذا البيت بالبيت الاتي

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم (المتنبي ،١٩٨٣ :٣٣٢)

فبعد تلك القوة وتضخم الذات والانا نجده بشكل خفي يظهر خوفه وضعفه من ذاك المجهول الذي يتربص به بقوله ، الخيل والليل والبيداء ، فهو بهذا الشطر من البيت يعلن ولو بصورة غير واضحة بان له تحديات وصراعات عليه ان يتغلب عليها وقد واجه الكثير من تلك المخاوف والتحديات

، لنقل هي اشارة منه الى الانكسار الذي كان يعانيه ، فكانت تضادات توفيقية اشار لها المتنبي ، فهو يشير لنا على انه قادر على فهم الطبيعة الانسانية وقدرته على التعبير

وما الخيل الاكالصديق قليلة وان كثرت في عين من لا يجرب(المتنبي ،١٩٨٣ :٤٦٧)

من قصيدة بعنوان كل مكان ينبت العز طيب عندما نذهب الى التحليل على وفق النظرية التوفيقية نجد المتنبي قد اظهر لنا توفيقا بين معنيين متضادين ومختلفين في قيمة الصديق الحقيقي الذي يكون كقيمة الخيل ، وغالبا ملا بمكن فهم هذا المعنى من الكثير ولايدرك قيمته ، وهذا يوصلنا الى ان المتنبي قد ادرك ان هناك مواقف مختلفة عليه ان يتعامل معها بتعامل يختلف عن الاخر ،وقد سعى المتنبي معترفا بان هناك تحديات تواجهه كي يثبت قيمة الخيل اذ يقول ، عبن من لا يجرب ، وهذا يوصلنا الى ان المتنبي قد ادرك بان هناك حدودا عليه ان يحققها من عملية الاقناع ، ولايفوتنا ان نبين ان المتنبي قد استخدم التشبيه المرسل حين شبه الخيل بالصديق ، وهذا ليس بغريب على المتنبي اذ يتمتع بخيال واسع وقدرته على خلق الصور وابتكارها ، ولاننسى ان نقول ان الخيل لها قيمة كبيرة عنده عندما شبهها بالصديق ، اما التوفيق بين المعاني فقد اظهر توفيقا بين معنيين مختلفين في بيته هذا حين يقول ان الخيل مثل الصديق حتى وان كان البعض لايفهم قيمة الخيل .ويعاني المتنبي من الانكسار الذي يلم به وقد اشار في بيته الذي جاء بقصيدة الخيل والليل والبيداء تعرفني (المتنبي ،١٩٨٣ :٣٣١)

مالي اكتم حبا قد برى جسدي وتدعي حب سيف الولة الامم

يتسال المتنبي عن ذاك الحب الذي اتعبه واضعف حاله ويصور حيرته عندما اخفاه عن سيف الدولة وحالة الانكسار والخذلان الذي عاش فيه، ففي الابيات السابقة نجده يقول الخيل وساحات الحرب تعرفه نجده يقف شامخا مفتخرا بنفسه ،وحسب النظرية التوفيقية نجده يظهر توفيقا بين الشموخ والكبرياء وبين الانكسار والخذلان ، فقد ادرك حقيقة ان هناك حدودا يمكن تحقيقها من الكبرياء والفخر وبين حدود الخذلان ونجد ملامح التوفيق بين الاضداد في شعره كالنوفيق بين العاطفة والعقل ، في بيت من قصيدة لاتقنع بما دون النجوم (المتنبي ،١٩٨٣ :٢٣٢)

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

المتنبي يمزج الصورة بين الدافع العقلي الشرف والعاطفة والطموح الذي يسعى اليه فضلا عن السمو ، فالتوفيق هنا لم يكن انقساما بل كان اندماجا ليشكل لنا المتنبي رؤية متكاملة عن ذاته فهو في حالة زهو وسعيه للمعالي ،وفي الوقت نفسه يشير لنا عن خوفه وضعفه وانكساره ان لم يصل الى مبتغاه وهدفه الذي يسعى اليه ، فكان تضادا وان لم يكن واضحا للعيان ،الا ان النظرية التوفيقية كانت حاضرة في عمله .وقال في موطن اخر من قصائده ، (المتنبي ،١٩٨٣ :٢٣٩) قائلا

ولقد منحت ابا الحسين مودة جودي بها لعدوه تبذير

ملك تصور كيف شاء كانما يجري بفصل قضائه المقدر

يقول لقد بذلت للميت من المودة مالو بذلت مثله من الود لعدوه لكان ذلك مني اسرافا وتبذيرا ، لان من عاداه لايستحق مني مثل ذلك الود فاذا بذلته له كنت متلافا واضعا للشيء فير موضعه ،ويقول في البيت الثاني، وفضل قضائه : حكمة الفاصل بين الحق والباطل، فكان القدر يجري باختياره ، التضاد الذي جاء به تضادا مخفيا يستحق منا فهم الابيات لنتمكن من ارصاد تلك العملية عملية التضاد الفكري الذي يبدعه المتنبي لنا فكان تضادا بين المودة والحب الي جاء متضاد معنويا بالاسراف والتبذير فهذا يعني البغض والكره متمثلا بالاسراف، ثم التضاد الاخر الذي جاء في البيت الثاني الذي تمثل بالحق والباطل، هنا حضرت النظرية التوفيقة كما حضرت في ابياته السابقة واللاحقة وفي مكان اخر من الديوان نجد قوله (المتنبي ،١٩٨٣ :٢٤٤)

برجاء جودك يطرد الفقر وبان تعادى ينفد العمر

يقول نحن اذا رجونا جودك ذهب الفقر ، لانه في ايدينا ، وفيه يطرد الفقر ، وان عوديت فنى عمر من يعاديك لانه عرض نفسه للتلف ، تضاد واضح بين الجود والفقر

وكف لاتنازع من اتاني ينازعني سوى شرفي وخيري

يقول لمن يعاديه قل ماشئت فان كفي سخية لاتمسك ولا تبخل ،وتترك هذه الكف كل شيء لمن ينازعني ، فهم يجود ويعطي كل شيء الا شرفه وكرامته لايجود بها لاحد ولايتنازل بها لاحد السخاء والكرم و العطاء تضاد بين شيئين لابد ان يكون احدهما موجود برحيل الاخر، فالجود والكرم لابد يرحل عنهما الكف والبخل وعند ذهابه الى مصر قال فيها : (المتنبي ،١٩٨٣ :١٦٧)

وماذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء

يتعجب مما راى في مصر من العجائب التي تستدعي الضحك لكن ردف قوله لكنه ضحك كالبكاء ، فالضحك والبكاء تضاد واضح في هذا البيت وقال في صباه (المتنبي ،١٩٨٣: ٣٥٦)

شوقي اليك نفى لذيذ هجوعي فارقني فاقام بين ضلوعي

هناك تضاد بين نفي الهجوع والاقامة ويقصد به الشوق قد اقام في ضلوعه وابعد عنه النوم ولذيذه فجعله مسهدا ، فهذا بيت فيه النظرية تنطق فيه وقال في بيت اخر (المتنبي ،١٩٨٣: ٣٥٧)

ملث القطر اعطشها ربوعا والا فاسقها السم النقيعا

يخاطب السحاب بانك العطاء الدائم، فيدعو على هذه الربوع فيقول ايها السحاب الدائم بالمطر اعطش هذه الربوع اي لاتسقيها وان كنت كريما معها ولاتعطشها فاسقيها السم النقيع، فهو دعاء على اهل هذه الربوع، وهذه الصورة لم تسبق المتنبي احد بهكذا صيغة للدعاء، صورة لم نجدها الا عند المتنبي الداء بسقيهم السم ، فالتضاد يكاد يلمح بشق الانفس فالتضاد لايمكن معرفته الابعد التحيل العميق للبيت، فالتضاد وقع بين السحاب الذي ينزل مطرا رحمة للعباد واحياء لمن في تلك الربوع فهو من نعم الرحمن ويغيث الخلق من العطش، وبين ذلك السحاب الذي يمطر سما ناقعا ليهلك كل تلك الربوع ومن فيها لانه سالهم ولم يمنحوا ويوهبوا المتنبي ما طلب منهم ،هنا تم تطبيق النظرية التوفيقية على هذا البيت .ففي ظل كل ماتقدم يمكننا القول ان النظرية التوفيقية كانت حاضرة وبقوة في شعر المتنبي وهذا ما وجدناه في شعره وشعريته .

الخاتمة

في نهاية رحلتنا هذه يمكننا ان نقول ان النظرية التوفيقية في شعر المتنبي تهتم بدراسة وكيفية توفيق المتنبي بين افكاره ومشاعره وقد اتضحت هذه الصورة من ابياته الشعرية ومن التحليل النفسي، فقد وجدنا المتنبي له القدرة على التعبير عن الضعف والقوة والخذلان والانكسار والشجاعة والخوف، كما اظهرت لنا النظرية التوفيقية تعقيدات الشخصية للمتنبي واسهمت على فهم وكيفية توفيق المتنبي لافكاره ومشاعره، ان دراسة النظرية وتطبيقها على شعر المتنبي اظهرت لنا التعقيدات الشخصية للمتنبي وللاخر.ان النظرية التوفيقية في شعر المتنبي تعد ظاهرة وسمة اسلوبية وبلاغية وفكرية بارزة ، اذ استطاع المتنبي ان يوظفها في صناعة وابتكار نصوص شعرية يجمع فيها بين المتناقضات فقد استطاع المتنبي ان يعكس صراع الذات مع العلم الخارجي، وقد شكلت هذه الرؤية بعدا عميقا فلسفيا لم يكن المتنبي شاعرا للفخر والحب فقط بل كان شاعرا مفكرا يعيد صناعة وجوده في مواجهة عالمه الخارجي

المصادر والمراجع

(١) ابن الاثير، المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٣ .

(٢) ابن جني ،الخصائص،تح: محمد علي النجار ،دار الشؤون الثقافية، بغداد والهيئة العصرية للكتاب ،ط١ ، ج١، ١٩٦٠ .

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ،تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ،مصر،ج٢،١٩٦٠ .

(٤) الدالي ، محمد احمد، البلاغة العربية نظرية التوفيق بين النظريات اللغوية والبلاغية.

(٥) السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،مجلد٢ ، ١٩٩٠.

(٥) سيبويه ، الكتاب ، ابو بشر بن عمر ،بولاق ،ط١، ج١٣١٧،١هـ.

(٦) ضيف ، شوقي، البلاغة العربية ، نظرية التوفيق بين النظريات .

(٧) عبد القاهر الجرجاني ، اسرار البلاغة ، دار الكتب ،بيروت ، ١٩٨٣.

(٨) _____ ، دلائل الاعجاز ، بيروت ، ١٩٨٧.

(٩) عتيق ، عبد العزيز ، النظرية التوفيقية في اللغة والبلاغة .

(١٠) العروي ، عبد الله، مفهوم العقل، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٥.

(١١) القزويني ، الخطيب، الايضاح في علوم البلاغة ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥

(١٢) المتنبي، ديوان المتنبي ، دار بيروت ، للطباعة والنشر ،بيروت ، ١٩٨٣.

(١٣) محمد، علي حكمت فاضل، انواع المعاني ونظريات دراسة المعنى –رؤى– العدد السادس، د.ت.